مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(٢ كورنثوس ١: ٢١–٢٤؛ ٢: ١–٤)

يا إخوةُ إنَّ الذي يُثبِّتُنا معكم في المسيح وقد مسحَنا هو الله الذي ختَمنا أيضاً وأعطى عُربونَ الروحِ في قلوبنا* وإنّي أستشهد الله على نفسي أنّي لإشفاقي عليكم لم آتِ أيضاً إلى كورنثوس. لا لأنَّا نسودُ على إيمانِكم بل نحنُ أعوانُ سروركم لأنَّكم ثابتون على الإيمان* وقد جزمتُ بهذا في نفسي أن لا آتيكم أيضاً في غمٍّ* لأنّي إن كنتُ أغمُّكم فمَن الذي يَسُرُّني غيرُ مَن أُسَبِّبُ له الغمَّ* وإنَّما كتبتُ إليكم هذا بعينِه لئلاَّ ينالَني عند قدومي غمٌّ ممَّن كان ينبغي أن أفرَحَ بهم* وإنّي لواثِقٌ بجميعكم أنَّ فرحي هو فَرَحُ جميعِكم* فإنّي من شدَّةِ كآبةٍ وكَرْبِ قلبٍ كتبتُ إليكم بدموعٍ كثيرةٍ لا لتغتمُّوا بل لتعرفوا ما عندي من المحبَّةِ بالأكثرِ لكم.

البار رومانوس المرنّم

في الأول من تشرين الأول تعيّد كنيستنا المقدسة للبار رومانوس المرنّم، الذي وُلد في نواحي حمص السورية أواخر القرن الخامس. في مطلع شبابه أتى القديس رومانوس إلى بيروت للتعمّق في علوم الفلسفة والأدب والخطابة، وفي بيروت سيم شماساً سنة ٥١٥ ثم خَدَمَ في كنيسة القيامة (حيث كاتدرائية القديس جاورجيوس اليوم) كواعظ قرابة الثلاث سنوات، لينتقل بعدها إلى القسطنطينية حيث بقي، كواعظ أيضاً، حتى رقاده قرابة العام ٥٦٠ للميلاد. لا نعرف الكثير عن حياة القديس رومانوس. إلا أن روحانيته، وشخصيته الأدبية واللاهوتية يستدلّ عليهما من الترانيم التي ألّفها والأشعار اللاهوتية التي نظمها، والتي تتناول معظم موضوعات ومحطات العهدين القديم والجديد.

لم يكن القديس رومانوس المرنّم لاهوتياً أو أديباً دينياً بالمعنى التقليدي. بل كان بالدرجة الأولى واعظاً، أي أن الوعظ أو إيصال كلمة الرب إلى البشر، كان همّه الأساس، وقد صاغ لاهوته شعراً وصوراً وحوارات فقط لأجل إيصال التعليم. معلوم أن الوعظ كان في تلك الأيام المجال الأكثر فاعلية للتثقيف الروحي والديني للمؤمنين، وكانت العظات تعتمد الصور والتشابيه بكثرة لتسهيل الفهم للمؤمنين. في هذا المجال اختار القديس رومانوس لعظاته نمطاً ما كان مألوفاً، وأبدع فيه كثيراً. فهو كان يسكب تعليمه اللاهوتي في مقاطع شعرية ذات قوافٍ وأوزان، يرنّمها من على المنبر ويشير إلى الأيقونات أو الجدرانيات جاعلاً إياها الإطار المشهدي لعظته. بمعنى آخر، لم يتردد القديس رومانوس في خلق إطار «مسرحي» لعظته حيثما دعت الحاجة وغالباً ما كان يبتدع حوارات بين شخصيات الحدث موضوع العظة. جانب آخر تجاوز فيه القديس رومانوس الأطُر المألوفة آنذاك، هو أنه لم يستعمل في عظاته اللغة الرسمية الأدبية الثقيلة بل لغة بسيطة لعلّها أقرب إلى المحكي، إذ خاطب طبقات الشعب كلها لا النخب المثقفة وحسب.

زمن القديس رومانوس المرنّم كان زمن مسائل لاهوتية دقيقة ما كانت بعد قد حُسِمَت كلياً. في هذه

العدد ٢٠١٣/٣٩

الأحد ٢٩ أيلول

تذكار أبينا البار كرياكس السائح

اللحن الخامس

إنجيل السَحَر الثالث

الإنجيل

(لوقا ٦: ٣١-٣٦)

قال الربُّ كما تريدونَ أن يفعلَ الناسُ بكم كذلك افعلوا أنتم بهم* فإنَّكم إن أحببتُم الذين يُحبُّونَكم فأيةُ مِنَّة لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يُحبُّون الذين يحبُّونهم* وإذا أحْسنتم إلى الذين يُحسِنون إليكم فأيَّةُ مِنَّة لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً هكذا يصنعون* وإن أقرضْتُمُ الذينَ تَرْجونَ أن تستَوْفوا منهم فأيَّةُ مِنَّة لكم. فإنَّ الخطأةَ أيضاً يُقرِضونَ الخطأة لكي يستوفوا منهم المِثْلَ* ولكن أحِبُّوا أعداءَكم وأحْسِنوا وأقرِضوا غيرَ مؤمِّلين شيئاً فيكونَ أجرُكم كثيراً وتكونوا بني العليّ. فإنَّه مُنعِمٌ على غيرِ الشاكرينَ والأشرارَ* فكونوا رُحماءَ كما أنَّ أباكم هو رحيمٌ.

تأمل

«إنَّكم إن أحببتم الذين يُحبُّونكم فأيَّة منَّة لكم. فإن الخطأة أيضاً يحبُّون الذين يحبونهم».

لا تيأس أبداً ولو خطئت. كما يقول بولس: هو يستجيب للطالبين إياه (عبرانيين ١١: ٦) أما الذين يجحدونه ولا المسائل لم يُدخِل القديس رومانوس المؤمنين في النزاعات والجدالات اللاهوتية. بل لما كان يريد أن يعظ في موضوع عقائدي صعب أو معقّد، كان يستعمل لغة التقوى البسيطة، لغة قلب المؤمن لا عقل العالِم، بالصور والتشابيه السهلة القريبة من المؤمنين. لعلّ ما كان يسهّل عليه هذا، ليس إبداعيته الشعرية بل التطابق الكلّي بين كلامه وبين عمق جهاد ه الشخصي وحرارة تقواه. وقد نجح القديس رومانوس في إيصال أكثر الموضوعات العقيدية والكتابية بهذا الأسلوب، بسهولة، إلى المؤمنين.

هذا وثمة موضوعات يشدِّد عليها القديس رومانوس تكراراً في تعليمه منها وحدة عمل الله وتدبيره الخلاصي على مدى التاريخ، أي الوحدة بين الخلق والخلاص، والوحدة بين العهدين القديم والجديد. كذلك أيضاً ما يختصّ بالروح القدس، حيث يشدّد القديس رومانوس في قنداق عيد العنصرة على الاستمرارية بين المسيح الذي صعد إلى السماء وبين الرسل القديسين، وتحقُّق امتداد هذه الاستمرارية، في الكنيسة، على مدى التاريخ. كذلك في ما يختصّ بمسألة الطبيعتين في المسيح، التي وإن كانت قد حُسِمَت عقائدياً، ما كانت بعد قد ترسّخت في وجدان المؤمنين. لذا، تجنّبَ القديس رومانوس مقاربة هذه المسألة إلا بحسب تعليم المجامع المسكونية وبأسلوب هذه المجامع، الذي كان أقرب إلى تقوى الشعب.

كما قلنا أعلاه، غاية القديس رومانوس كانت، كواعظ، أن يحمل حقائق الإعلان الإلهي إلى قلوب المؤمنين لا إلى عقولهم وحسب. أما في ما يختصّ بالسلوكيات المسيحية، فتعاليم القديس رومانوس تأخذ وجدان المؤمن دائماً إلى يوم الدينونة الرهيب، حيث الكلّ سوف يؤدي الحساب لا على ما يملك من فضائل، بل على كيف ثمّرها في المحبة وأعمال الرحمة.

أما في ما يختصّ بالكلية القداسة والدة الإله، فنشير هنا إلى أنها أتته مرة في الحلم في أوائل خدمته الكنسية في القسطنطينية، وكان محبطاً من ضعف موهبته الشعرية، وأعطته ورقة ملفوفة ليبتلعها ففعل. وفي الصبح، وكان يومها عيد ميلاد المخلّص، إعتلى القديس المنبر ورنّم قنداق الميلاد الذي ما زلنا نرنمه «اليوم العذراء تلد الفائق الجوهر». هذا كان حدثاً مفصلياً في حياة القديس رومانوس إذ فاضت موهبته وباتت تتضاعف منذ ذلك الحين. لم ينسَ القديس فضل العذراء الكلية القداسة عليه فصارت حاضرة في معظم أناشيده، وعاطفته تجاهها واضحة. كما خصّص للكلية القداسة والدة الإله بعض أروع ما نظَم، مثل قناديق الميلاد، البشارة، الأمومة الإلهية وحواء الجديدة. ولعلّ أكثر قنداق نعرفه هو مديح والدة الإله الذي يتلوه الكاهن في خدمة المديح في الصوم الكبير، الذي يبتدئ بترنيمة «اني أنا عبدك يا والدة الإله».

الفكر المسيحي هو بالدرجة الأولى وجدان كنسي، ثقافة مولودة من عمق الاختبار الإيماني أي من حميمية اللقاء مع المسيح المخلص ابن الله الوحيد. هذا ما اختبره القديس رومانوس المرنّم، وما أراد نقله إلى كل سامعيه عبر لاهوت ركائزه إيمان متّقد ومحبة نابضة وتواضع سحيق. لعلّه لأجل هذا ما زالت أناشيد القديس رومانوس عابرة للزمان، لا كنتاج أدبي من الماضي بل في كل حين «ترنيمة جديدة»، كما يقول صاحب المزامير (١:٩٧).

يتوبون فهو يبتعد عنهم. ولكن كيف يستطيع المرء أن يطلبه ويجده؟

أولاً وقبل كل شيء عليه أن يحفظ المحبة للإخوة لأن الإنجيلي يوحنا يقول «الله محبة» (١ يو ٤: ٨ و١٦). أن كان عنده محبّة، فعنده الله، وإن كان لديه التواضع فهو شبيه بالله. كل مَن تكبّر يفترق عن المسيح، وكل من صبر يتشبه بالله. كل من تذمر يبتعد عن المسيح وكل من خضع لرئيسه يتشبه بالملائكة. كل مَن عاكس سيّده يصاحب الشيطان. إن أحبّ الواحد الحقيقة يصير بالواقع صديق المسيح، والذي يكره أخاه يبغضه الله. والذي يزرع الفرقة بين أخ وأخ يُدان مع الشيطان. أما الذي يتألم مع أخيه فيرث المسيح. الذي يزدري الخاطئ يدين نفسه. أما الذي يحزن ويتألم معه فيطهّر نفسه الخاصة.

كل مَن شهّر أخطاء أخوته يدين نفسه، بينما الذي يسعى بشفقة لإخفائها فمثل هذا يُحفظ في يوم الغضب. الذي يتكبّر ويتعظّم بما أنه يعيش في الفضيلة فهذا قد أضاع أتعابه الخاصة ولا يأخذ أجراً، أما الذي يسعى وراء إخفاء إنجازاته، عن طريق التواضع، فمثل هذا يرفعه الرب ويجازيه خيراً. كل مَن افتخر بتقدّمه

إطلاق الهوية المؤسساتية الجامعة لثلاث من مدارس الأبرشية

برعاية سيادة المتروبوليت الياس وحضوره، أقامت مدرسة الثلاثة الأقمار ومدرسة البشارة الأرثوذكسية وثانوية السيدة الأرثوذكسية حفل إطلاق «الهوية المؤسساتية الجامعة» لها Eduvation School Network وذلك يوم الثلاثاء الواقع فيه ١٧ أيلول في حرم مدرسة البشارة الأرثوذكسية، وفي حضور وجوه روحية ورسمية وتربوية وأكاديمية وإعلامية وإجتماعية، بالإضافة إلى الأسرة الإدارية والتربوية في هذه المدارس الثلاث وعدد من خريجيها.

تعكس Eduvation School Network عراقة تاريخ هذه المؤسسات التعليمية وتجسّد القيم المعتمدة فيها، وترسم أيضاً ملامح التحديث والتطوير اللذين تسعى إليهما باستمرار في مجالي التربية والتعليم. كما وتبرز عضوية التعاون والتنسيق بين هذه المدارس الثلاث مع المحافظة على هوية كل واحدة منها. وتؤكد، من خلال رموز الشعار المختار، على القيم التي تسعى هذه المدارس إلى بنائها وتثبيتها لدى المتعلمين والتي تتجلى في قبول الآخر وبناء الفكر الناقد المرتكز على المعرفة الكيانية الملتزمة بفرادة كل إنسان لكونه مخلوقاً على صورة الله ومثاله.

بدأ الإحتفال بالصلاة ثم النشيد الوطني. بعدها قدَّم السيد رمزي النجار الهوية المؤسساتية الجامعة، شارحاً رموز الشعار وأبعاده. وألقى قدس الإيكونوموس جورج ديماس كلمة أسرة Eduvation School Network . ثم بارك سيادة المتروبوليت الياس هذه الهوية المؤسساتية الجامعة بكلمة جاء فيها:

«في خضم الأحداث السياسية والطائفية شئنا لقاء يتناول التربية والتعليم.

لقاؤنا اليوم محوره التربية Education والتحديث Innovation الذي يجب أن يطالها باستمرار. من هنا اعتمادنا شعار Eduvation. إنّها صورةٌ جديدة، شعارٌ جديدٌ، هويةٌ مؤسساتيةٌ جديدة لمُنْتَجٍ عريق تمثله مدارسنا.

قد يتساءل البعض عن أهمية هذا الموضوع في زمن رديء تسوده النزاعات والحروب والتقاتل والتهافت على المغانم، وتحكمه العصبيات والأنانيات والتطرّف وكل أنواع الحقد والقتل والخطف والتعنيف والتكفير والإلغاء التي تشد الإنسان إلى أسفل فيما نؤمن نحن أنّ الإنسانَ المخلوقَ على صورة الله ومثاله يستحق الحياة وهو مدعوٌ إلى تخطي ذاته وملاقاة الله، مدعوٌ إلى التألّه.

نحن نعتبر أنّ الإنسانَ أولويةُ الأولويات، وأنّ الأوطانَ لا تبنى إلا بسواعد أبنائها. ولكي يبني الأبناءُ وطناً على قياس طموحنا وطموحهم يجب علينا إعدادُهم منذ الطفولة، منذ مقاعد الدراسة، ليكونوا رجالَ المستقبل ومداميكَ الوطن.

الكنيسةُ تعي مسؤوليتَها تجاه أجيالها وأجيال الوطن، لذلك أولتْ الأهميةَ القصوى لإنشاء المدارس. الطفلُ أو المراهقُ يمضي ساعةً أو ساعتين في الكنيسة كلَّ أسبوع، لكنه يمضي معظمَ ساعات نهاره في المدرسة. من هنا أهميةُ دور المدرسة الذي يوازي دورَ الوالدين في توجيه الأولاد وتربيتهم وإرشادهم وزرع القيم في نفوسهم

يسقط، وكل مَن تذلّل وصغَّر نفسه يرتفع إلى علوّ شاهق. كل من احتدّ وغضب يستحق الدينونة ولا يعاشره المسيح. أما الذي يبقى وديعاً ليّناً فيصبح محطاً للروح القدس. كل مَن ازدرى أخاه الخاطئ يضلّ ويجهل، أما الذي يشاطره المحبّة فهو بالحقيقة فاضل. كل مَن ازدرى أخاً غريباً يتغرّب عند الله. والذي يقبله بمحبة يقبله الله.

الذي يُسرّ بالأملاك والمباني يتعرّى من الخيرات الأبدية، أما الذي يجاهد في سبيل الروحيّات فيتذوّق حسناً حلاوة الخيرات الأبدية. الذي يتحلّى بالألبسة الفاخرة يتعرّى من اللباس الإلهي، بينما الذي يتستّر بملابس عادية يتوق إلى ارتداء الثوب الروحي. الذي يتهاون في أوان الصلاة والتراتيل ولا ينتبه يُغضب الله! أما الذي يسعى بحماس واجتهاد إلى التراتيل فهو شريك الروح القدس. كل من لم يهتم بقراءة الكتاب المقدّس ولم يطالعه بشوق هو شجرة غير مثمرة أما الذي يفتش عنه بغيرة فهو يضاعف الثمر «مثل شجرة مغروسة على مجاري الحياة».

القديس افرام السرياني

وتنشئتهم على العادات الحسنة والشعور بالمسؤولية والمواطنة والاستقامة والتسامح والمحبة وكل ما يجعل من مجتمعنا مجتمعاً موحّداً مزدهراً يكافح من أجل الأفضل.

مدارسُنا ليست حديثةَ العهد. تاريخُنا في التعليم يعود إلى سنة ١٨٣٥ عندما أُنشئت مدرسة الثلاثة الأقمار التي تخرّج منها كبارٌ من هذه البلاد كتبوا تاريخ هذا الوطن أمثال جرجي زيدان وجبران تويني والمثلّث الرحمة البطريرك إغناطيوس الرابع. تبعتها مدرسة زهرة الاحسان سنة ١٨٨٠ ثم مدرسة البشارة الأرثوذكسية فمدرسة مار الياس بطينا وأخيراً ثانوية السيدة الأرثوذكسية، وطموحُ هذه المدارس تنشئةُ الأجيال على الإيمان بالله واحترام الإنسان ومحبة الوطن، والتزام القيم وحب المعرفة، بالإضافة إلى تهذيب النفس وصقل المواهب وإعدادها لتكون أهلاً لمسؤوليات الغد في وطن احتمل الكثير وصار واجباً علينا وعلى الأجيال القادمة أن ننتشله من قعر الهاوية إلى قمة النمو والإشعاع والإبداع.

نحن قديمو العهد في مجال التربية والتعليم، هذا صحيح، لكننا نرنو دوماً إلى المستقبل ولا نخاف التجديدَ واعتمادَ كل الوسائل الحديثة التي تتيح لنا تطوير مدارسنا لتبقى ريادية، نموذجية، عريقة ووطنية.

هذا النهج هو نهج كنيستنا الأرثوذكسية التي لم تشأ نفسها يوماً طائفة بل كانت ولم تزل واحةَ حوار وجسرَ تواصل ونبعَ عراقة. ومدارسنا شئناها قلاعاً وطنية تتميّز بانفتاحها ولا طائفيتها واحتضانها لتلامذتها بلا تمييز فيما بينهم، مع محافظتها على طابعها الأرثوذكسي الفريد.

في عصر يتساقط فيه البشر كالذباب، يومياً، نحن نؤمن بالحياة ونلتزم الإنسان. نحن نؤمن أنّ مقاومة الحرب والفساد تبدأ على مقاعد الدراسة تماماً كمحاربة الجهل. لكنّ دورنا ليس حشو الرأس بالمعلومات، خاصة في أيامنا حيث أصبحت المعلومة في متناول الجميع. نحن دعاةُ بناءِ النفوس ورسالتُنا تربيةُ الأجيال. أما هدفنا فأن نترك بصمةً مضيئةً في تاريخ البشرية المظلم. نحن نراهن على ثروة لبنان الفكرية، على أدمغة أبنائنا التي إن أحسنّا صقلها خلّصنا وطننا. هدفنا تربية أبنائنا على حرية الرأي واحترام الآخر، على الفكر الخلاّق والعمل المبدع، على التميّز في مجتمع أصبح معظم الشباب فيه كالغنم يُساقون من قِبَل القائد. هدفنا تربيتهم على الحلم الدائم والرجاء الدائم والتجديد المستمر.

نحن في لبنان في أمس الحاجة إلى العودة إلى أصالتنا، إلى العودة إلى احترام القيم واعتماد الفضائل أكثر من أي وقت مضى إذ نشهد انحطاطاً أخلاقياً لا مثيل له. شبابنا وشاباتنا فقدوا البوصلة التي توجّه الإنسان في الاتجاه الصحيح. هنا يأتي دور المدرسة في تنمية الفكر الناقد في المتعلّمين وحس النقد البنّاء وحسن التمييز. ومدارسنا تستلهم دائماً روحانية كنيستنا وتعمل بهديها.

اليوم محطة من محطات تاريخ مدارسنا. من ظلمة أيامنا البائسة نحن نحلم ببزوغ شمس جديدة تنير غد أجيالنا الطالعة. عهدُنا أن تبقى مدارسُنا علامةَ التزامنا شبابِ لبنان. إنها شهادتُنا على أنّ الإنسان كان محورَ اهتمامنا وسوف يبقى، إن شاء الله، طالما بقيت كنيستنا الأرثوذكسية حية وفاعلة».